

حوارات | Dialogues

حوار الأستاذ الدكتور/
عبداللطيف بوعزيزizi
رئيس جامعة الزيتونة

يحاوره: د. محمد الريوش - أ. يحيى عبد اللطيف

Dialogues: with Prof.

Dr. Abdellatif Bouazizi

President of Ez-zitouna University

by: Dr. Mohammed Eriouiche - a. Yahya Abdul Latif

نرحب بكم حضرة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف البوعزيزي في دورية نماء لعلوم الوعي والدراسات الإنسانية في هذا الحوار الذي نتطرق فيه إلى بعض المواضيع المرتبطة بالتعليم الجامعي والمكانة الدولية والتاريخية للجامعات العربية.

١ - يلاحظ المتابع للتاريخ الإسلامي وجود جامعات للتعليم العالي تعد مراكز روحية وتعلمية ذات أثر حضاري لا ينكره أحد؛ ونذكر من هذه الجامعات جامعة القرويين وجامعة الأزهر وجامعة الزيتونة... وبصفتكم رئيساً لجامعة الزيتونة ما تقييمكم لتدريس الدين والثقافة الإسلامية في الوقت الراهن؟ وما هي شروط المنافسة الحضارية في عصر الحداثة؟

تجدر الإشارة عند الحديث عن الجامعة الزيتונית إلى أنّه منذ تأسيسها في مطلع القرن الأول للهجرة إلى اليوم ظلت على امتداد ١٤ قرناً من نشاطها المعرفي المتصل بلا انقطاع مدرسة علم وسلوك، وقلعة حصينة للغة العربية يشهد بذلك تاريخها المكتوب، وكذلك تاريخها المعماري.

لقد طبع جامع الزيتونة شخصية الشعب التونسي بطابعه خاص قائمة على التسامح والاعتدال والتفتح، وعلى الاتصال المباشر بمعبط الوعي: مكة والمدينة المنورة، وعلى الموازنة بين متطلبات الدنيا والتحضير للآخرة. ونحاول في الزمن الراهن وفي سياق المحافظة على السند العلمي التونسي الموصول، والتفاعل مع المناهج الحديثة وبرامج التدريس المتطرفة أن نقدم درساً شرعياً يوائم بين الأصالة والمعاصرة. يجعل من الدين في كماله ووضوحه ويسره سلوكاً يومياً للتونسي عامة ولطلبة الزيتونة من مختلف القارات على وجه الخصوص، بمعنى ثقافة حياة لهم جميعاً.



عن فكرة إسلامية ذات صلة بحديثنا هي فكرة وجود مجده على رأس كل مائة عام يجدد المسلمين دينهم. وتبغى لذلك فإنه منذ العقدين الأوليين من القرن العشرين للميلاد تعالى صوت الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور داعيًّا إلى المسارعة بتجديد التعليم في العالمين العربي والإسلامي، وإلى إصلاح الزيتونة ضمن ذلك، الأمر الذي نجد تفاصيله الدقيقة والرائعة في كتابه المخصص لإصلاح التعليم العربي الإسلامي: «أليس الصبح بقريب». ثم بادر بتطبيق رؤيته الإصلاحية تلك حالما بُسطت يده في النهوض بجامع الزيتونة الذي صار شيخه الأكبر، وقد نوه بذلك الشيخ محمد عبده الذي رأى حلمه يتجسد في الزيتونة دون الأزهر، رغم أنه كان يردد: «إما أن يصلح الأزهر أو أن يسقط». كما أشاد عميد الأدب العربي طه حسين خلال زيارته لجامعة الزيتونة سنة ١٩٥٨م بإصلاحات ابن عاشور في هذه الجامعة العريقة وذلك في مقالة نشرها للعموم بجريدة الجمهورية المصرية، داعيًّا الأزهر إلى الاقتداء بالزيتونة، ودارت الأيام وبقيت الزيتونة بتونس والقرويين بفاس والأزهر بالقاهرة منارات علمية تُعدّ بحق مرفع رأس العرب والمسلمين في العراقية وريادة الفكر الديني المتجدد.

لقد ظلت الروح واحدة في هذه الجامعات، لكن تنوّعت مضامينها وتجددت

ما بشأن المنافسة الحضارية في عصر الحداثة فلعله لم يبق لنا نحن العرب في ظل التقدم المذهل للغرب الذي يسير في ابتكاراته ونجاحاته وفتوحاته العلمية والتكنولوجية المطردة بسرعة موكبية إلا أن نسابقه في المجالين الأخلاقي والروحي. وهذا ما نبه إليه منذ عقود مضت المفكّر اللامع روحي غارودي الذي دعا إلى اختراع مستقبل مشترك للبشرية يسوده التفاهم المتبادل بين الحضارة الغربية وبين حضارات الشرق... مستقبل جديد يتخلّى فيه الغربيون عن عقدة الاستعلاء ليستفيدوا من المسلمين والصينيين في مستوى الحكم والروحانيات، ويستعيد خالله المسلمين ثقتهم في أنفسهم، وحماستهم على بالإضافة النوعية لحضارة عصرنا التي طفى عليها الجانب المادي.

٤- يرتكز التعليم في الجامعات سالفـة الذكر على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية؛ مما تصوركم لتحديث مناهج التعليم وتطوير آليات التدريس في هذه الجامعات؟

إنّ قدر الجامعات الإسلامية جميـعاً وفي طليعتها الزيتونة أن تكون في قلب التجديد، وأن تمثـل المحرك الأساس لكل إصلاح. فإن ذلك من جوهر الإسلام، وجاءتنا تعلمـ الإسلام، ذلك هدفها وذلك قدرها منذ انبعاثها. ولا نغفل هنا

فإنه في إطار تنويرها للعقل وجعلها مواكبة للعصر في سياق جمعها بين الثابت والمتاحـل قد أخذت بحظ وافر من علوم العصر الاجتماعية والإنسانية، التي لا ريب في تكاملها مع العلوم الدينية مضمونـاً؛ إذ تدرج ضمن وسائلها شكلياً ومنهجياً، وتمحور مجتمعة حول الإنسان بصفته هـدـف التنمية الدينية والمعرفـية وأداتها.

٤- يرى البعض ضرورة الفصل بين تدريس العلوم الإسلامية بوصفها علوماً ذات منحى عقلي محض وبين تدريس الدين بوصفه سلوكاً؟ فـما هو مسلك الـزيـتونـة تجاه هذا الأمر؟

الدين واحد في الاعتقاد والآداب والمعاملات والعبادات مع اختلافات غير جوهـرـية سببـها الفهم الحرـ للمـتـديـنـ، وهو فـهم تقليـدي أو اجـتـهـادي داخـلـ المـذـهـبـ. وفي جـانـبـ متـصلـ أـشـيرـ إلىـ أـنـناـ لاـ نـفـرـقـ بـيـنـ الإـيمـانـ وـالـعـمـلـ وـالـنـيـةـ، لـكـنـناـ نـفـرـقـ بـيـنـ الدـيـنـ وـالـتـدـيـنـ؛ فـالـأـوـلـ مـقـدـسـ؛ لأنـهـ صـادـرـ عنـ رـبـ الـعـبـادـ، بـيـنـماـ الـثـانـيـ هوـ تـطـبـيقـاتـ بـشـرـيـةـ لـلـدـيـنـ، وـهـيـ لـيـسـ مـقـدـسـةـ أوـ خـالـدـةـ، تـخـلـفـ بـسـبـبـ التـأـثـرـ بـعـادـاتـ وـأـعـرـافـ وـسـلـوكـيـاتـ أـهـلـ الـمـدـنـ وـالـبـلـدـانـ الـمـتـبـاعـدةـ وـاـخـلـافـ ذـهـنـيـاتـهـمـ وـنـفـسـيـاتـهـمـ وـمـنـاخـهـمـ وـظـرـوفـهـمـ الـطـبـيعـيـةـ.

مناهجها وطرق التدريس بها. اليوم نحن نعتمد عند الضرورة الدرس عن بعد، كما نستعين بـجـهاـزـ العـرـضـ (ـالـدـاـتـشـ)، وـنـوـزـ الـدـرـوـسـ الـرـقـمـيـةـ، وـنـسـتـقـبـلـ الـبـحـوثـ الـطـلـابـيـةـ عـبـرـ الإـيمـيلـ وـالـمـاسـيـنـجـ، وـنـقـدـمـ الـدـرـوـسـ وـالـفـرـوـضـ وـإـصـلـاحـاتـهـاـ عـبـرـ الـتـلـفـزـاتـ، وـنـنـزـلـ الـدـرـوـسـ الـمـتـلـفـزـةـ فـيـ إـلـيـرـنـتـ. أـلـيـسـ هـذـاـ مـنـ مـظـاهـرـ الـانـخـراـطـ فـيـ تـطـوـرـاتـ الـعـصـرـ؟ـ وـالـشـيـءـ نـفـسـهـ فـيـ طـرـيـقـةـ تـقـسـيمـ الـدـرـسـ إـلـىـ نـظـريـ وـتـطـبـيـقيـ، وـالـاستـعـانـةـ بـالـأـسـالـيـبـ الـكـمـيـةـ وـالـكـيـفـيـةـ، وـبـالـنـظـرـيـاتـ الـتـعـلـيمـيـةـ الـحـدـيـثـةـ الـسـلـوكـيـةـ وـالـنـفـسـيـةـ الـمـعـرـفـيـةـ وـالـبـنـائـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـتـجـريـبيـةـ...

٣- ما تقويمكم لجهود الـزيـتونـيـينـ المعـاصـرـيـنـ فـيـ مـجـالـ الـعـلـومـ الشـرـعـيـةـ، وـكـيـفـ تـرـوـنـ آـفـاقـ الـدـرـسـ الشـرـعـيـ الـيـوـمـ فـيـ جـامـعـةـ الـزـيـتونـةـ؟

إنـ مؤـلفـاتـ أـسـاتـذـةـ الـزـيـتونـةـ تـشـهدـ لـهـمـ بالـنـجـاعـةـ فـيـ بـحـوثـهـمـ وـدـرـاسـاتـهـمـ وـانـفـتـاحـهـاـ عـلـىـ مـحـيـطـهـاـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـقـضـاديـ وـحتـىـ السـيـاسـيـ وـالـثـقـافيـ وـالـصـحيـ وـالـبـيـئـيـ، لـسـيـماـ أـنـهـاـ مـرـتـبـطـةـ بـالـقـضـيـاـيـاـ الـحـارـقـةـ لـعـصـرـهـمـ وـتـحـولـاتـهـ، كـمـاـ أـنـهـاـ تـحاـوـلـ إـلـيـجاـبـةـ عـنـ مـخـتـلـفـ الـأـسـئـلـةـ الـحـضـارـيـةـ وـالـمـجـتمـعـيـةـ الـجـدـيـدةـ الـمـطـرـوـحةـ أـمـامـهـمـ.

وـإـذـ كـانـتـ الـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ ذـاتـ أـصـولـ وـفـرـوعـ، وـذـاتـ مـقـاصـدـ وـوـسـائـلـ.



شهد له رب العزة برفعة الأخلاق من خلال قوله تعالى: «وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤)، ودعا جل جلاله المسلمين إلى التأسي به عبر قوله: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ مِّنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَذِكْرَ اللَّهِ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢٧). فالأخلاق ليست فطرية إنما هي كسبية، تكتسب بالتأسي. وإنما الأمم كما قال الشاعر أحمد شوقي: «الأخلاق ما بقيت... فإنهم ذهبت أخلاقهم ذهبوا... صلاح أمرك للأخلاق مرجعه... فقوم النفس بالأخلاق تستقيم... إذا أصيّب القوم في الأخلاق... فأقم عليهم مائماً وعوياً».

وبشأن العلوم الإنسانية فإنها تترجم الاستجابة لقول الله تعالى: «وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفْلَامٌ تَبْصِرُونَ» (الذاريات: ٢٩). ولهذا قد تكون العلوم الإنسانية تعبرًا عن المهارات النقدية والتحليلية التي قد نعain ما يشبهها في علوم الدين الإسلامي التي لا تتضاد مع السؤال، وإنما تشجع عليه وتنتمي به وتتفذى معرفيا على نتائجه. فالإيمان في الإسلام لا يرهب من العقل ولا يحجر اعتماد أسلوب النقاش والجدال. والقرآن هو بلا شك أول علم يدرس الإنسان منذ ٤ قرن ونصف القرن، وقد أفرد له سورة كاملة وبمنتهى الوضوح عنوانها «الإنسان».

٦- عندما يتعلق الأمر بالبحث العلمي
بوصفه أحد أهم ثمار الدرس الجامعي
الملاحظاليوم تدني مستوى البحوث

٥- كثيراً ما نسمع عن مسألة التكامل بين العلوم والمعارف؛ من بينها التوافق بين الروحانية والعلم، وبين الفقه والمقداد، وبين القانون والأخلاق... إلخ، كيف تنظرون لهذه المسألة؟ وهل من اقتراحات عملية ترونها فاعلة بوساطتها السير قدماً بمسار التعليم في الوطن العربي؟ وفي إطار التجسير بين العلوم ما مدى حضور العلوم الإنسانية في مقررات التدريس وتطوير البحث العلمي في جامعة الزيتونة حاضراً ومستقبلاً؟

الزيتونة هي حاملة لواء الفكر المقاuchi. ومن أعلامها في هذا الاختصاص كما تعلمون الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الذي فسّر في كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية» أن سبب تحجّر العقل المسلم يرجع إلى ربط «الأحكام بالعلل التي تستتبع من الألفاظ لا المعاني». وجعل من علم المقاديد أداة لتفكيك التعصب المذهبى، وأداة فضلى في أيدي المسلمين «يرجعون إليها للفصل في اختلافاتهم شأنهم في ذلك شأن أهل العلوم العقلية».

أما الأخلاق فإنها مفتاح كل نجاح، وهي إن كانت من مواد التدريس فدعني أقولها بحروف غليظة أو بصوت عال: إن الأخلاق لا تُدرّس بقدر ما تُزرع عن طريق الاقتداء وبواسطة التأثر بممارسات الآخر المثالي. فالرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم المبعوث ليتقم مكارم الأخلاق

وكيف كان تجاوب جامعتكم مع تلكم الظروف الاستثنائية؟

أثقلن حرصكم على تأمين العلم لطلابه عن طريق التكنولوجيات الحديثة في ظل الحجر الصحي الشامل ومتضيقات التباعد الجسدي للتوقى من جائحة كورونا والحد من سرعة انتشارها، واجتهدتم في تنسيع محاضر التدريس وظرقه الحديثة. أما في تونس فقد انخرطت مؤسسات التعليم بمختلف مراحلها وبالخصوص منها المرحلة العليا في سياسة الدولة لضمان سلامة الشعب وفي الان نفسه عدم حرمان الأجيال الجديدة من حقها في الدراسة والارتقاء في سلم التحصيل العلمي. ولذلك سخرت الدولة كل الإمكانيات التكوينية والتكنولوجية والتشريعات المؤقتة الملائمة بهدف ضمان تكافؤ الفرص بين كافة الطلبة.

٨- من جهة أخرى وبصفتكم رئيساً لجامعة الزيتونة ماذا عن المكانة الدولية للجامعات العربية، وجودة مخرجات التعليم العالي والبحث العلمي التي تقدمها، ومدى اتساقها مع منظور التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية؟

لا يمكن أن نأخذ مثل تلك الجامعات نموذجاً يحتذى، ولا مؤسسات قيس جودة الجامعات وترتبها مرجعاً لنا، فالمسألة

العلمية في جامعاتنا العربية مقارنة بالجامعات الغربية؟ أين يكمن الخلل برأيك وما هي سبل تجاوزه؟ وماذا عن مسارات البحث التي تشجعها جامعة الزيتونة؟

لا أشاطر الرأي الذي يحكم على البحوث العلمية في الجامعات العربية بالتدني في مقابل نظيراتها الغربية. ذلك أنه إذا كانت شروط العلم واحدة، فلا بد أن تكون أيضا النتائج وبشكل حتمي واحدة. باعتبار أنها أيضا نتائج علمية مثل شروطها العلمية المتبعة منذ البداية. فخاتمة شيء نظير بدايته. لكن لعل مكمن الاختلاف -إذا كانت المناهج المطبقة هي ذاتها- نقدره ليس في المجالات الإنسانية والاجتماعية وإنما في جانب الاختراعات والابتكارات والاكتشافات. وفي هذا المجال لا وجه لاي مقارنة بين مخابر بحثنا ومخابر بحثهم، وبين إضافاتهم اليومية للحضارة البشرية وبين إسهاماتنا السنوية الطفيفة.

٧- في ظل الظروف التي يعيشها العالم تبنت مجموعة من الكليات والجامعات عالمياً ومن بينها أكاديمية نماء للعلوم الإسلامية والإنسانية -التابعة لمركز نماء للبحوث والدراسات- مسالك ومناهج وتقنيات جديدة للتدريس والتواصل مع الطلاب؟ فكيف تقومون هذه التجارب؟



علماء عصر النهضة الإسلامية حتى ينتبه في يسر إلى أنَّ المسلم العالم في ذلك الزمان كان حافظاً للقرآن، مرتلاً ومفسراً له، حافظاً للسنة النبوية وعارفاً بعلوم الحديث وكتبه رواية ودراسة، كما كان ملماً بالطب والصيدلة وماهراً في الرياضيات وعلوم الفلك، ومستوعباً للفلسفة والكيمياء، وكانت ملهمًا في الشعر والأدب، وحاذقاً لغة العربية... فإذا انتهى عصر العلماء الموسوعيين وحلَّ في محلهم علماء التخصص الدقيق، وإذا انفكَّت الرابطة الوثيقة بين علماء الشرع وعلوم الكون على أرض الواقع، فليس لنا في أدنى المساعي من خيار إلا تنمية الوعي بأهمية توسيع فهمنا لأهداف العلوم الشرعية في حياتنا اليومية ومدى صلتها بدائرة التطوير والإصلاح والتجديف في أبعادها الشاملة؛ ذلك أنَّه لا يمكن رفع صروح الحضارة إلا على أرضية تربوية أخلاقية وتعليمية متينة. ولا شكُّ أيضًا في أنَّ التعليم الديني هو الرافعة الأخلاقية لكل مجتمع حز، كما أنَّ البحث الديني ما لم ينهض بالدنيا فإنَّه عقيم.

متصلة بحجم المشاركات المالية المرصودة سنويًا كمعامل انحراف في مؤسسات التصنيف الدولي، وأيضاً بحجم الميزانيات التي ترصدها الدول المتقدمة وعناصرها الصالحة من أهل المبررات للبحث العلمي وللجامعات. لكنَّ أشير هنا إلى أنَّه على الرغم من ضعف ميزانية البحث العلمي في الدول العربية والإسلامية، وعلى الرغم من تدني تصنيف جامعتنا العربية والإسلامية: فإنَّ أدمنتنا المهاجرة هي التي تصنُّع المعجزات في مخابر بحث كبرى الشركات الغربية ووكالات الفضاء، وتساهم بالتالي في خدمة البشرية وتطوير حياتها فوق الأرض.

**٩- ما هي رؤيتكم حول آثار الجامعات
تدريساً وبحثاً على المجال الجمعي
والانبعاث الحضاري؟**

إنَّ الدارس للعلوم الشرعية في قلاعها التاريخية المجيدة المذكورة في سؤالك الأول لا بدَّ أن يتمكَّن أولاً من مبدأ العمل بما يعلم، وثانياً من الترابط الوثيق بين العلوم الأساسية في الإسلام وبين علومها الآلية المساعدة، وثالثاً أن يستوعب التكامل المعرفي الذي لا فكاك فيه بين العلوم الشرعية وبين العلوم الكونية. فهذهzan النوعان من العلوم يؤلفان العلوم الإسلامية وجناحاً تحليق الحضارة الإسلامية في سماء العالمية خلال العصر الوسيط. وللينظر الواحد منا في ترجم